التابوت في قصة طالوت

م. عمر عبد الوهاب الكحلة*

تأريخ التقديم: ٢٠١٠/٣/١٠ تأريخ القبول: ٢٠١٠/٤/٧

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى : (وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءايَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ ءالُ مُوسَى وَءالُ هَرُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَئِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَأَيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) [سورة البقرة الآية :٢٤٨]

تمهيد عن قصة التابوت مع طالوت :

ظل بنو إسرائيل بعد مجيئهم إلى فلسطين بعد موسى (عليه السلام) من غير ملك ٣٥٦ سنة وتعرضوا في تلك الفترة لغزوات الأمم القريبة منهم كالعمالقة من العرب ، وأهل مدين وفلسطين والآراميين وغيرهم ، فمرة يَغلبون وتارة يُغلبون .

وفي أواسط المائة الرابعة أيام (عالي الكاهن) تحارب العبرانيون مع الفلسطينيين . سكان أشدود قرب غزة . فغلبهم الفلسطينيون وأخذوا تابوت العهد منهم، وهو التابوت (الصندوق) الذي فيه التوراة ، أي : الشريعة . فعز عليهم ذلك لأنهم كانوا يستنصرون به .

وكان من قضاة بني إسرائيل نبي اسمه صموئيل جاء إليه جماعة من أشرافهم وشيوخهم . من بلدة الرامة . وطلبوا منه تعيين ملك عليهم يقودهم إلى قتال أعدائهم الذين أذلوهم وقهروهم زمنا طويلا ، فلم يقنع بمطلبهم لما يعلمه من تخاذل نفوسهم إن فرض عليهم القتال ، فأجابوه بأن دواعي القتال موجودة ، وهي إخراج الأعداء لهم من أوطانهم وأسرهم وأبنائهم .

فجعل عليهم طالوت ملكا فرضي به جماعة ورفضه آخرون، واشتدوا في عنادهم ، وكان لبني إسرائيل مواقف تشدد وغلو ومطالب مادية مع أنبيائهم ومنها هذا الموقف فحاول صموئيل إقناعهم بكفاءة طالوت وجدارته للملك والسلطة وحسن الاختيار

* قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة الموصل .

ورضا الله عنه ، وأن الدليل المادي على ملكه وصحة اختياره هو عودة التابوت . الذي أخذه منهم الفلسطينيون . إليهم (وكان له شأن ديني عندهم) وفيه تحقيق الطمأنينة لقلوبكم وارتياح ضمائركم وبخاصة عندما تقدمونه رمزا وشعارا وحاميا في قتالكم [١].

ومجيء ذلك التابوت لابد أن يقع على وجه يكون خارقا للعادة حتى يصح أن يكون معجزة وآية من عند الله دالة على صدق تلك الدعوى [٢].

لهذا حملته الملائكة إلى بيت طالوت تشريفا وتكريما له وأن مجيئه بهذا الشكل دليل على عناية الله بكم واختيار طالوت قائدا لكم لينهض بشؤونكم فعليكم مؤازرته والرضا بملكه فرضوا به [٣].

وقال لهم نبيهم آية ملكه أن يأتيكم :

قال المفسرون : قال لهم نبيهم صموئيل علامة ملك طالوت إتيان التابوت الذي أخذه منكم أعداؤكم في فلسطين ، أي : رجوعه إليكم [٤] .

وقال القمي : والظاهر أن مجيء التابوت كان معجزة لنبي ذلك الزمان ، ومع كونه معجزة له كان آية قاطعة في ثبوت ملك طالوت ، وقيل : إن طالوت كان نبيا وإتيان التابوت معجزته ؛ لأنه كان مقرونا بالتحدي ، والجواب أن التحدي كان من النبي لأمته [٥].

---

١ ينظر : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج : الأستاذ الدكتور : وهبة الزحيلي ، دار الفكر ، دمشق . سورية ، دار الفكر المعاصر ، بيروت . لبنان ١٤١٨هـ . ١٩٩٨م ٢/ ٤٢٧ ، ٤٣١ .

٢ ينظر : تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان : نظام الدين القمي (٧٢٨هـ) ، تحقيق : الشيخ زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ . ١٩٩٦م ٦٦٧/١ .

٣ ينظر : التفسير المنير ٢/ ٤٢٧ ، ٤٣١ .

٤ ينظر : الجامع لأحكام القرآن القرطبي ، (٦٧١ هـ) ، تحقيق : أحمد عبد العليم البردوني ، دار الشعب ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٣٧٢ هـ ٢٤٧/٣ ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير : الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ) ، دار الفكر . بيروت ٢٦٥/١ ، مناهل العرفان في علوم القرآن : محمد عبد العظيم الزرقاني ، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٦ م ٢٣٤/١ ، التفسير الوسيط الأستاذ الدكتور : وهبة الزحيلي ، دار الفكر المعاصر ، بيروت . لبنان ، دار الفكر ، دمشق . سورية ١٤١/١ .

٥ ينظر : غرائب القرآن ٦٦٨/١ .

التابوت عند اللغويين :

١. **تعريفه :**

للتابوت معنيان الأول : الصندوق الذي يحرز فيه المتاع ، وهو معرب ، والثاني : الصدر ، يقال ما أودعت تابوتي شيئا ففقدته ، أي : صدري [١] .

وقال الكرمي أنه : صندوق من الخشب ، ومنه تابوت الميت ، وهو صندوق الخشب توضع فيه جثة الميت ، والتابوت : هو السفط [٢].

وقال الراغب : وسمى القلب سفط العلم وبيت الحكمة وتابوته ووعاءه وصندوقه [٣]، وقيل : هو الأضلاع وما تحويه من قلب وغيره [٤].

٢. وزنه :

أختلف اللغويون في وزن هذه اللفظة ، إلى قولين : الأول : أنها على وزن (فاعول) . والثاني : أنها على وزن (فعلوت) ، وهؤلاء اختلفوا في أصلها فبعضهم قال أن أصلها تابوة والبعض الآخر قال إن أصلها توبوت ، وفيما يلي تفصيل ذلك :

---

١ ينظر : المعجم الوسيط د. إبراهيم أنيس ، وآخرون ، دار الأمواج ، بيروت . لبنان ، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ . ١٩٩٠م ٨١/١ ، تاج العروس من جواهر القاموس : مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) ، دار ليبيا ، بنغازي ، المطبعة الخيرية ، مصر ، الطبعة الأولى ١٣٠٦هـ ١٦١/١ .

٢ الهادي إلى لغة العرب : حسن سعيد الكرمي ، دار لبنان ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ . ١٩٩١م ٢٣٣/١ .

٣ مفردات ألفاظ القرآن الراغب الأصفهاني (ت ٤٢٥هـ) ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، دار القلم . دمشق ، دار الشامية . بيروت ١٦٢ ، وجاء في شرح شافية ابن الحاجب رضي الدين الاستراباذي (ت ٦٨٨ هـ) ، مع شرح شواهده : عبد القادر البغدادي (ت ١٠٩٣ هـ) ، تحقيق : محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة حجازي . القاهرة ٢٨٥/٤ : " قال الراغب : التابوت : وعاء يعز قدره ، ويسمى القلب قلب الحكمة ، وسفط العلم وبيته " ، وجاء في التوقيف على مهام التعاريف : محمد عبد الرؤوف المناوي (ت ١٠٣١هـ) ، تحقيق: د . محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر ن بيروت ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ١٥٥/١ : وسمي القلب تابوت الحكمة .

٤ ينظر : تاج العروس ١٦١/١ .

فالقول الأول : القائلون أنها على وزن (فاعول) قالوا : أن تاءه أصلية ، وهو قول رضي الدين الأستراباذي [1] وابن بري [2] وأبي البقاء العكبري وصاحب التبيان ، فذكر هذان الأخيران : أن التاء في (التابوت) أصل ، ووزنه فاعول ، ولا يعرف له اشتقاق ، فان قيل : لم لا يكون (فعلوتا) من تاب يتوب ؟ قيل : المعنى لا يساعده وإنما يشتق إذا صح المعنى [3] ، ولأن شبهة الاشتقاق لا تعارض زيادة الهاء وعدم النظير ، وأمّا من قرأ بالهاء فهو «فاعول» عنده ، إلا فيمن جعل هاءه بدلا من التاء لاجتماعهما في الهمس وأنهما من حروف الزيادة ولذلك أبدلت من تاء التأنيث ، فضعيف ؛ لأن الإبدال في غير تاء التأنيث ليس بثبيت [4] .

وقال ابن بري : والصواب أن يذكر في فصل تبت [5] ؛ لأن تاءه أصلية ووزنه فاعول ، مثل : عاقول وحاطوم والوقف عليها بالتاء في أكثر اللغات ، ومن وقف عليها بالهاء

---

٩ ينظر : شرح شافية ابن الحاجب ٢٨٤/٤ .

٢ ينظر : لسان العرب ابن منظور ، دار صادر . دار بيروت ، بيروت ١٣٨٨هـ . ١٩٦٨م ١/ ٢٣٣ مادة (توب) ، ١٧/٢ مادة (تبت) ، تاج العروس ١٦١/١ .

ينظر : التبيان في إعراب القرآن أبو البقاء العكبري (ت٦١٦هـ) ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، إحياء الكتب العربية ١٠٤/١ .

ينظر : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ، تحقيق : خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ، بيروت . لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ . ٢٠٠٢م ١٤٢ ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : محمود الآلوسي أبو الفضل (ت ١٢٧٠هـ) ، دار إحياء التراث العربي . بيروت ١٦٨/٢ ، أنوار التنزيل البيضاوي (ت ٧٩١ هـ) ، وبهامشه حاشية العلامة أبي الفضل المشهور بالكازروني ، تحقيق : الشيخ عبد القادر عرفان العشا حسونه ، دار الفكر ، بيروت . لبنان ١٤١٦ هـ . ١٩٩٦ م ٥٤٤/١ .

٥ذكر صاحب اللسان ١٧/٢ في مادة (تبت) :

أن تبت ترجمة لم يترجم عليها أحد من مصنفي الأصول وذكره ابن الأثير لمراعاته ترتيبه في كتابه وترجمنا نحن عليها لأن الشيخ أبا محمد بن بري رحمها الله ذكرها ومراعاة لقوله في رده على الجوهري : كان الصواب أن يذكر في ترجمة تبت .

فإنه أبدلها من التاء كما أبدلها في الفرات حين وقف عليها بالهاء وليست تاء الفرات بتاء تأنيث وإنما هي أصلية من نفس الكلمة [١] .

ورد الزمخشري وكذا البيضاوي والآلوسي هذا القول [٢] . فقد قال الزمخشري : فإن قلت : ما وزن التابوت ؟ قلت : لا يخلو من أن يكون فعلوتا أو فاعولاً ، فلا يكون «فاعولا» لقلته . أي في الأوزان العربية . ، نحو : سلس وقلق ، ولأنه تركيب غير معروف فلا يجوز ترك المعروف إليه [٣].

وقال الآلوسي : وليس بـ (فاعول) ، من التبت لقلة ما كان فاؤه ولامه من جنس واحد [٤]. قال أحمد (رحمه الله) : لأن الفاء تاء واللام كذلك ، والعرب تستثقل ما فاؤه ولامه حرف واحد ؛ لأنه توأم التكرار [٥].

والقول الثاني : القائلون أنها على وزن (فعلوت) جعلوا التاء مزيدة ، وهو قول أبي علي الفارسي وابن جني [٦] وتبعهما الزمخشري[٧] والبيضاوي [٨]وأبو السعود [٩] والشوكاني [١٠]والآلوسي [١١] والقنوجي [١٢] وكذا قول الجوهري [١٣] ورجحه الزبيدي [١٤] .

---

١ ينظر : لسان العرب ١/ ٢٣٣ مادة (توب) ، ١٧/٢ مادة (تبت) ، تاج العروس ١٦١/١ .

٢ ينظر : الكشاف ١٤٢ ، أنوار التنزيل ٥٤٤/١ ، روح المعاني ١٦٨/٢ ، تفسير اللباب لابن عادل ٣ / ٢١٠ .

٣ ينظر : الكشاف ١٤٢ ، وتفسير اللباب لابن عادل ٣ / ٢١٠ ، غرائب القرآن ٦٦٨/١ .

٤ روح المعاني ١٦٨/٢ .

٥ ينظر : هامش (١) من الكشاف ١٤٢

٦ ينظر : تاج العروس ١٦١/١ .

٧ الكشاف ١٤٢ .

٨ أنوار التنزيل ٥٤٤/١ .

٩ ينظر : إرشاد العقل السليم ٢٤١/١ .

١٠ فتح القدير ٢٦٥/١ .

١١ روح المعاني ١٦٨/٢ .

١٢ فتح البيان ٧٣/٢ .

١٣ ينظر : الصحاح ٩٢/١ مادة (توب) ، تاج العروس ١٦١/١ ، شرح شافية ابن الحاجب ٢٨٥/٤ .

١٤ تاج العروس ١٦١/١ .

قال أبو السعود : وتاؤه مزيدة لغير التأنيث ، كملكوت ورهبوت ، والمشهور أن يوقف على تائه من غير أن تقلب هاء ومنهم من يقلبها إياها [١] ، وقالوا : أنه من التوب الذي هو الرجوع ، لأنهم يرجعون إليه ولأنه ظرف يودع وتوضع فيه الأشياء ، ولأنه لا يزال يرجع إلى ما يخرج منه ، وصاحبه يرجع إليه فيما يحتاجه من مودعاته [٢] .

وأصحاب هذا القول انقسموا إلى فريقين :

الأول : يقول أن أصلها (تابوة) كما ذهب إلى ذلك الجوهري حيث قال : أن أصله تَأْبُوَةٌ مثل تَرْقُوَةٍ ، وهو فُعْلُوَةُ فلما سكنت الواو انقلبت هاء التأنيث تاء [٣] . أي : أصبحت فعلوت .

وذكر الاستراباذي كلام الجوهري فقال : وزعم الجوهري أنه (فعلوت) من التوب ، ورد عليه [٤].

وقد رد ابن بري على هذا الكلام ، فقال : التصريف الذي ذكره الجوهري في هذه اللفظة حتى ردها إلى تابوت تصريف فاسد ، وقد أساء تصريفه[٥] .

والثاني : يقول إن أصلها (توبوت) كما ذهب إلى ذلك الزمخشري . كما قال عنه الزبيدي [٦] . والآلوسي ، حيث قال الآلوسي : وأصله (توبوت) فقلبت الواو ألفا [٧].

---

١ ينظر : إرشاد العقل السليم ٢٤١/١ .

٢ينظر : الكشاف ١٤٢ ، إرشاد العقل السليم ٢٤١/١ ، أنوار التنزيل ٥٤٤/١ ، فتح القدير ٢٦٥/١ ، روح المعاني ١٦٨/٢ ، تفسير اللباب لابن عادل ٢١٠/٣ ، فتح البيان ٧٣/٢ .

٣ينظر : الصحاح ٩٢/١ مادة (توب) ، القاموس المحيط ٤٠/١ ، لسان العرب ١/ ٢٣٣ ، مادة (توب) وكذا وردت هذه العبارة في تاج العروس ١٦١/١ ، وجاء في الهامش تعليقا عليها نصه : " قوله فانقلبت إلى آخره فيه ميل إلى القول بأن تاء التأنيث أصلها الهاء وهو أحد قولين ذكرهما الصبان على الأشموني في باب التأنيث " .

٤ينظر : شرح شافية ابن الحاجب ٢٨٥/٤ .

٥ ينظر : لسان العرب ١/ ٢٣٣ مادة (توب) ، ١٧/٢ مادة (تبت) ، تاج العروس ١٦١/١ .

٦ لم أعثر على هذا الكلام للزمخشري . الذي ذكره الزبيدي عنه . في الكشاف .

٧ ينظر : روح المعاني ١٦٨/٢ .

وقال الزبيدي : قال شيخنا : والذي ذكره الزمخشريُّ أَنَّ أَصْلَهُ تَوْبُوتٌ فَعْلُوتٌ تَحَرَّكَتِ الوَاوُ وانْفَتَحَ مَا قَبْلَها فقُلِبَت أَلِفاً أَقْربُ للقَوَاعدِ وأجْرَى عَلَى الأُصول وتَرَجَّحَتْ لُغةُ قُريش لأَنَّ إبدالَ التَاءِ هاءً إذا لم تكن للتأْنيث – كما هو رأْيُ الزمخشريّ – شَاذٌّ في العربية بخلاف رأْي المصنِّف والجوهريِّ وأَكثر الصرفيّين [١] .

الاختلاف في كتابته وقراءته في القرآن :

لم ترد لفظة (التابوت) في القرآن إلا في موضعين ، الأول : المراد به تابوت بني إسرائيل الوارد في سورة البقرة . وهو موضوع بحثنا هذا . والثاني : المراد به التابوت الذي وضع به موسى (عيه السلام) ، وهو صغير الوارد في سورة طه [٢] . وإن قال بعضهم إنه هو نفسه تابوت بني إسرائيل كما سيأتي .

واختلف الصحابة في كتابة كلمة (التابوت) أ يكتبونها بالتاء المفتوحة أم بالهاء ، وقال القَاسِمُ بنُ مَعْن : لم تختلف لغة قُريش والأَنْصار في شيءٍ من القُرآن إلاَّ في التَّابُوت [٣] في البقرة [٤] ، فلما كتب الصحابة المصحف زمن عثمان (رضي الله عنه) ، قال للرهط القرشيين الثلاثة . وهم المهاجرون . سعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام وعبد الله بن الزبير ، وما اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانها قال الزهري فاختلفوا يومئذ في (التابوت) فقال زيد : (التابوه) بالهاء وقال النفر القرشيون المهاجرون : إنما هو (التابوت) ، وما نعرف (التابوه) ، فترافعوا

١تاج العروس ١٦١/١ .

٢ الآية ٣٩ ، وهي قوله تعالى : " أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم " .

٣ ينظر : التبيان في غريب القرآن ١٣٤/١ ، الصحاح ٩٢/١ ، لسان العرب ٢٣٣/١ مادة (توب) ، تاج العروس ١٦١/١ .

٤ تاريخ القرآن الكريم ٣٥/١ .

إلى عثمان فأمرهم وقال : اكتبوا (التابوت) بالتاء المفتوحة ؛ لأنها كذلك في لغة قريش ، فإنما أنزل القرآن بلسانهم فكتبت [١]

قال حفص عن عاصم عن أبي عبد الرحمن قال : لم أخالف عليا في شيء من قراءته إلا في التابوت كان زيد يقرؤها بالهاء وعلي بالتاء [٢] .

وقال أبو بكر بن مجاهد : التابوت بالتاء قراءة الناس جميعا ، ولغة الأنصار: التابوه بالهاء [٣] ،

وقال اللغويون عن لغة (التابوه) : وقد قرىء به شإذا ، فيجوز أن يكونا لغتين وأن تكون الهاء بدلا من التاء [٤] ، قال ابن جني في المحتسب : وأراهم غلطوا بالتاء الأصلية ؛ فإنه سمع بعضهم يقول : قعدنا على الفراه ، يريدون على الفرات [٥] .

وروي عن زيد أنه قرأ (التيبوت) ذكره النحاس [٦] .

---

١ ينظر : جامع البيان ٦٠/١ ، الجامع لأحكام القرآن ٥٤/١ ، الدر المنثور ١/ ٧٥٦ . ٧٥٧ ، تفسير سفيان الثوري ٧٠/١ ، روح المعاني ١٦٨/٢ ، سنن الترمذي ٢٨٤/٥ كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ، باب سورة التوبة ، رقم الحديث (٣١٠٤) ، السنن الكبرى ٣٨٥/٢ باب وجوب القراءة على ما نزل من الأحرف السبعة دون غيرهن ، رقم الحديث (٣٨٠٦) ، صحيح ابن حبان ٣٥٩/١٠. ٣٦٢ ، باب ما يستحب للإمام اتخاذ الكاتب لنفسه لما يقع من الحوادث والأسباب في أمور المسلمين ، رقم الحديث (٤٥٠٦) ، فتح الباري ٢٠/٩ ، شعب الإيمان ١٩٥/١.١٩٧ ، ذكر حديث جمع القرآن ، رقم الحديث (١٧١) ، تحفة الأحوذي ٤١٣/٨ ، البرهان ٣٧٦/١ ، أحكام القرآن لابن العربي ٤٦٩/٤ ، مناهل العرفان ٢٧٧/١ ، تاج العروس ١٦١/١ ، تاريخ القرآن الكريم ١٠٣/١ .

٢معرفة القراء الكبار ٣٨/١ .

٣ ينظر : القاموس المحيط ٤٠/١ ، لسان العرب ٢٣٣/١ مادة (توب) ، تاج العروس ١٦١/١ .

٤ التبيان في إعراب القرآن ١٠٤/١ .

٥ ينظر : لسان العرب ٤٨٠/١٣ مادة (تبه) ، تاج العروس ١٦١/١، المحكم والمحيط الأعظم ٢٠١/٤ مادة (تبه) ، ولم أجد العبارة نصا في المحتسب ٢٢١/١ .

٦ ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٤٨/٣ .

تعريفه عند المفسرين :

التابوت : هو الصندوق [١] ، أو شبه صندوق [٢] .

وقيل هو : صندوق التوراة [٣] ، أي المحفوظ فيه التوراة ، أي الشريعة [٤] ، وهو رواية لابن عباس(رضي الله تعالى عنهما) [٥] .

وقال الآلوسي : والمراد به صندوق كان يتبرك به بنو إسرائيل فذهب منهم [٦] ، وقال أيضا : وأقرب الأقوال التي رأيتها أنه صندوق التوراة تغلبت عليه العمالقة حتى رده الله تعالى [٧] .

وقيل : أنه صندوق نزل من السماء على آدم (عليه السلام) وكان يتحاكم الناس إليه بعد موسى عليه السلام إذا اختلفوا فيحكم بينهم ويتكلم معهم إلى أن فسدوا فأخذه العمالقة [٨] ، واستبعد الآلوسي هذا القول [٩] . وقيل : التابوت هو القلب [١٠] . وعن أبي جعفر(رضي الله تعالى عنه) : أنه التابوت الذي أنزل على أم موسى فوضعته فيه وألقته في البحر وكان عند بني إسرائيل يتبركون به إلى أن فسدوا فجعلوا يستخفون به فرفعه الله تعالى إلى أن كان ما كان [١١] .

---

١ ينظر : إرشاد العقل السليم ٢٤١/١ ، أنوار التنزيل ٥٤٤/١ ، روح المعاني ١٦٩/٢ ، تاج العروس ١٦١/١ .

٢ التبيان في تفسير غريب القرآن ١٣٤/١ .

٣ ينظر : إرشاد العقل السليم ٢٤١/١ ، أنوار التنزيل ٥٤٤/١ ، فتح القدير ٢٦٥/١ ، روح المعاني ١٦٨/٢ ، فتح البيان ٧٣/٢ ، التفسير الوسيط ١٤١/١ ، وذكره ابن كثير في قصص الأنبياء ٤١٧ بـ (تابوت الشهادة) .

٤ ينظر : التفسير المنير ٤٢٦/٢ . ٤٣١ .

٥روح المعاني ١٦٨/٢ .

٦ روح المعاني ١٦٨/٢ .

٧ روح المعاني ١٦٨/٢ . ١٦٩ .

٨ ينظر : روح المعاني ١٦٨/٢ . ١٦٩ ، غرائب القرآن ٦٦٧/١ .

٩ روح المعاني ١٦٨/٢ . ١٦٩ .

١٠ ينظر : أنوار التنزيل ٥٤٤/١ ، مفردات ألفاظ القرآن ١٦٢ ، شرح شافية ابن الحاجب ٢٨٤/٤ .

١١ روح المعاني ١٦٨/٢ .

وقد ذكر الآلوسي أن هناك أقوالا عدة فقال : وروى غير ذلك مما يطول [١] ، ثم قال . بعد أن رجح رأيا وابعد آخر . : (ولم أر حديثا صحيحا مرفوعا يعول عليه يفتح قفل هذا الصندوق ولا فكرا كذلك) [٢] .

سعته :

عن وهب بن منبه : أنه سئل عن قدر تابوت موسى وما سعته ؟ فقال : نحو من ثلاثة أذرع في ذراعين . [٣]

شكله ومادته :

قيل : كان شيئا منحوتا من الخشب [٤] ، وقيل من عود خشب الشمشاد [٥] مموها (مطليا) بالذهب ، الذي يتخذ منه الأمشاط [٦] .

متى كان وجوده :

ذكر العلماء أنه كان موجودا منذ وقت آدم (عليه السلام) ، حيث إن الله أنزله عليه فقد قال المفسرون : إن التابوت كان من شأنه فيما ذكر : أنه أختلف في تحقيق ذلك فقال أرباب الأخبار : أنه هو صندوق أنزله الله تعالى على آدم (عليه السلام) فيه تماثيل وصور الأنبياء جميعهم (عليهم السلام) وقيل كان فيه ذكر الله تعالى ، فكان عنده إلى أن مات وتوفي ثم بعد ذلك كان عند شيث ثم توارثه أولاد آدم واحدا بعد واحد ولم يزل ينتقل من كريم إلى كريم حتى وصل وبلغ إبراهيم ثم كان عند إسماعيل لأنه كان أكبر ولده ثم عند يعقوب (عليه السلام) ثم إلى بنيه ثم كان في بني إسرائيل وبقي

---

١ ينظر : روح المعاني ١٦٨/٢ . ١٦٩ .

٢ روح المعاني ١٦٩/٢ .

٣ ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٤٨/٣ ، روح المعاني ١٦٨/٢ ، الدر المنثور ٧٥٧/١ ، أنوار التنزيل ٥٤٤/١ ، فتح القدير ٢٦٧/١ ، معالم التنزيل ٢٢٨/١ ، إرشاد العقل السليم ٢٤١/١ ، تفسير القرآن للصنعاني ٩٩/١ . ١٠٠ ، النكت والعيون ٣١٥/١ ، فتح البيان ٧٣/٢ .

٤ مفردات ألفاظ القرآن ١٦٢ .

٥ قيل : شمشاذ ، وشمسار ، وشمشار ، ينظر : ينظر : روح المعاني ١٦٨/٢، الجامع لأحكام القرآن ٢٤٨/٣ ، غرائب القرآن ٦٦٧/١ ، وهي كما يلاحظ أنها مجرد تصحيف للكلمة .

٦ ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٤٨/٣ ، أنوار التنزيل ٥٤٤/١ ، معالم التنزيل ١/ ٢٢٨ ، إرشاد العقل السليم ٢٤١/١ ، فتح البيان ٧٣/٢ ، غرائب القرآن ٦٦٧/١ ، التفسير المنير ٤٢٦/٢ .

عندهم إلى أن وصل إلى موسى (عليه السلام) ، فكان موسى يضع فيه التوراة ومتاعا من متاعه وكان إذا قاتل قدمه فكانت تسكن إليه نفوس بني إسرائيل ولا يفرون فكان عنده إلى أن مات وتوفي موسى (عليه السلام) ثم تداولته أنبياء بني إسرائيل وبقي إلى أن فسد بنو إسرائيل وعصوا بعد موسى (عليه السلام) وهكذا إلى وقت أشمويل[١] .

وقيل : أن آدم نزل بذلك التابوت وبالركن وبعصا موسى من الجنة [٢] .

قصته :

اختلف أهل التأويل في سبب مجيء التابوت الذي جعل الله مجيئه إلى بني إسرائيل آية لصدق نبيهم ، وهل كان بنو إسرائيل سلبوه قبل ذلك فرده الله عليهم حين جعل مجيئه آية لملك طالوت ، أو لم يكونوا سلبوه قبل ذلك ، ولكن الله ابتدأهم به ابتداء؟ ، فقال بعضهم: بل كان ذلك عندهم من عهد موسى وهارون يتوارثونه ، حتى سلبهم إياه ملوك من أهل الكفر به، ثم رده الله عليهم آية لملك طالوت [٣] .

وكذلك اختلفوا أيضا أين كان قبل أن يرد إليهم فقال ابن عباس ووهب كان في أيدي العمالقة غلبوا عليه بني إسرائيل [٤]. كما سيأتي ذكره . وروي عن قتادة والربيع بن خيثم : أنهما قالا كان هذا التابوت في التيه مما تركه وخلفه موسى عند فتاه يوشع بن نون فجعله يوشع في البرية ، ومرت عليه الدهور وبقي هناك حتى جاء وقت طالوت [٥].

وذكرت التفاسير عن استعماله وقت موسى وذكروا روايات . في استخدام بني إسرائيل له وما قيل فيه . وهي من قبيل الإسرائيليات ، والمفسرون في سردهم لتلك الروايات كانوا متفقين في أمور ومختلفين في أمور أخرى ومضمون ومجموع كلامهم أن بني إسرائيل : كانوا أذا اختلفوا في شيء تحاكموا إليه فيكلمهم ويحكم بينهم ، وكانت الأنبياء إذا حضروا

---

١ ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٤٧/٣ ، معالم التنزيل ١/ ٢٢٨ . ٢٢٩ ، إرشاد العقل السليم ٢٤١/١ ، أنوار التنزيل ٥٤٤/١ ، الوجيز ٦٨/١ ، معاني القرآن ٢٤٩/١ ، غرائب القرآن ٦٦٧/١ ، روح المعاني ١٦٨/٢ ، العباب الزاخر ٤٠/٢ ، لسان العرب ٣٤٨/٩ ، تاج العروس ٢٣٩/٩ .

٢ ينظر : فتح القدير ٢٦٦/١ ، فتح البيان ٧٤/٢ ، النكت والعيون ٢١٦/١ .

٣ ينظر : جامع البيان ٣١٦/٥ .

٤ النكت والعيون ٢١٦/١ .

٥ ينظر : الجواهر الحسان ١/ ١٩٤ ، الجامع لأحكام القرآن ٢٤٨/٣ ، النكت والعيون ٢١٦/١ .

القتال يقدمونه ويضعونه في مأزق الحرب بين أيديهم ويستفتحون به على عدوهم ويزحفون به معهم فكانوا لا يلقاهم عدو إلا هزم الله ذلك العدو . وكانت الملائكة تحمله فوق العسكر ثم يقاتلون العدو فإذا سمعوا من التابوت صيحة استيقنوا النصر ، فكان بنو إسرائيل يغلبون من حاربهم ومن قاتلهم . ثم خلف فيهم ملك يقال له إيلاء ، وكان الله قد بارك لهم في جبلهم من إيليا، لا يدخله عليهم عدو، ولا يحتاجون معه إلى غيره. وكان أحدهم – فيما يذكرون – يجمع التراب على الصخرة ، ثم ينبذ فيه الحب ، فيخرج الله له ما يأكل سنته هو وعياله. ويكون لأحدهم الزيتونة، فيعتصر منها ما يأكل هو وعياله سنته. فلما عصوا وظهرت فيهم الأحداث وخلفت فيهم الخلوف ، وعظمت فيهم الخطايا وأحداثهم وخالف ملوكهم الأنبياء واتبعوا الشهوات وعندهم التابوت يتوارثونه قرنا بعد قرن كابرا عن كابر، وقد كان الله تعالى أقام أمورهم بان يكون أنبياؤهم يسددون ملوكهم فلما فعلوا ما ذكرناه وافسدوا فما زالوا يغلبون حتى عصوا ، وتركوا عهد الله إليهم ، نزل بهم عدو فخرجوا إليه ، وأخرجوا معهم التابوت كما كانوا يخرجونه، ثم زحفوا به، فقوتلوا حتى استلب من بين أيديهم . فأتى ملكهم إيلاء فأخبر أن التابوت قد أخذ واستلب ، فمالت عنقه ، فمات كمدا عليه. فمرج أمرهم عليهم، ووطئهم عدوهم، حتى أصيب من أبنائهم ونسائهم. وفيهم نبي لهم قد كان الله بعثه إليهم، فكانوا لا يقبلون منه شيئا، يقال له شمويل بن بالي ، وهو الذي ذكر الله لنبيه محمد : " ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله " [1].

وقيل : كان بعد موسى مع أنبيائهم يستفتحون به حتى أفسدوا فغلبهم الكفار عليه وكان في أرض جالوت إلى أن ملك الله طالوت [2].قال محقق البيضاوي تعليقا عن هذه العبارة أنها : من الإسرائيليات [3].

---

١ ينظر :جامع البيان ٢٩٥/٥ ، الجامع لأحكام القرآن ٢٤٧/٣ . ٢٤٨ ، إرشاد العقل السليم ١/ ٢٤١ ، معالم التنزيل ٢٢٩/١ ، الجواهر الحسان ١٩١/١ . ١٩٢ الوجيز ٦٨/١ ، فتح القدير ٢٦٦/١ ، روح المعاني ١٦٨/٢ ، فتح البيان ٧٣/٢ . ٧٤ ، تفسير ابن أبي حاتم ١٨٦/٩ ، قصص الأنبياء ٤٨٠ ، غرائب القرآن ٦٦٧/١ ، التفسير المنير ٤٢٦/٢ .

٢ينظر : أنوار التنزيل ٥٤٤/١ . ٥٤٥ .

٣ينظر : أنوار التنزيل ١/ ٥٤٥ ، في الهامش .

قال القرطبي . بعد أن ذكر أن التابوت سلب بسبب عصيان بني إسرائيل . : وهذا أدل دليل على أن العصيان سبب الخذلان وهذا بين [١] .

وبين بعض المفسرين السبب في سلب التابوت منهم من رواية رواها فقال : وكان السبب في ذلك أنه كان لعيلى العالم الذي ربى اشمويل (عليه السلام) ابنان شابان وكان عيلى حبرهم وصاحب قربانهم فأحدث ابناه في القربان شيئا لم يكن فيه وذلك أنه يكون لصاحب القربان ما يقبض عليه كلابان فاتخذ أبناه كلاليب [٢] ، وكان النساء يصلين فى بيت المقدس فيتشبثان بهن ، فأوحى الله تعالى إلى اشمويل عليه السلام انطلق إلى عيلى فقل له : منعك حب الولد من أن تزجر ابنيك عن أن يحدثا في قرباني وقدسي شيئا وأن يعصياني فلأنزعن الكهانة منك ومن ولدك ولأهلكنك وإياهم فأخبر اشمويل عيلى بذلك ففزع فزعا شديدا فصار إليهم عدو ممن حولهم فأمر ابنيه أن يخرجا بالناس فيقاتلا ذلك العدو فخرجا وأخرجا معهما التابوت فلما تهيؤا للقتال جعل عيلى يتوقع الخبر ماذا صنعوا فجاءه رجل وهو قاعد على كرسيه فقال إن الناس قد انهزموا وإن ابنيك قد قتلا قال فما فعل التابوت قال ذهب به العدو فشهق ووقع على قفاه من كرسيه ومات فخرج أمر بني إسرائيل وتفرقوا [٣] .

فقد سلط الله تعالى عليهم أمما من الكفرة العمالقة . وهم فرقة من عاد كانوا بأريحاء . جالوت وأصحابه فغلبوهم على التابوت وسلبوه منهم وأخذ لهم في بعض الحروب فذل أمرهم فلما رأوا آية الاصطلام وذهاب الذكر ونزل بهم البلاء ووطئت بلادهم أنف بعضهم وتكلموا في أمرهم حتى أجتمع ملؤهم فكلموا وقالوا لنبي الوقت . فقالوا : " أبعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله " وقيل : وإنما كان قوام بني إسرائيل الاجتماع على الملوك، وطاعة

---

١ الجامع لأحكام القرآن ٢٤٧/٣ .

٢ ذكر محقق جامع البيان ٣١٨/٥ في هامش (١) : وقربان اليهود هذا هو"التقدمة" ، كانت من دقيق مع زيت ولبان ، يؤخذ قليل من الدقيق المقدم والزيت وكل اللبان ، ويوقد على المذبح ، أو يعمل منه قطائف على صاج ، وأما البقية فكانت للكهنة ، وفي تاج العروس ٩٢٣/١ مادة (كلب) : الكَلُّوبُ كسَفُّودٍ ، حَديدةٌ مُعْوَجَّةُ الرَّأْسِ ذاتُ شُعَبٍ يُعَلَّق بها اللَّحْمُ والجمع كَلاليبُ .

٣ ينظر : جامع البيان ٣١٨/٥ ، معالم التنزيل ٢٢٩/١ ، تفسير ابن أبي حاتم ٩/ ١٧٩ . ١٨٠ ، هميان الزاد ٢ / ٤٢٠ .

الملوك أنبياءهم. وكان الملك هو يسير بالجموع، والنبي يقوم له أمره ويأتيه بالخبر من ربه. فإذا فعلوا ذلك صلح أمرهم، فإذا عتت ملوكهم وتركوا أمر أنبيائهم فسد أمرهم. فكانت الملوك إذا تابعتها الجماعة على الضلالة تركوا أمرها فلما قال لهم ملككم طالوت راجعوه فيه كما أخبر الله عنهم فلما قطعهم بالحجة سألوه البينة على ذلك فلما سألوا نبيهم البينة على ما قال دعا ربه فنزل بالقوم الذين أخذوا التابوت داء بسببه على خلاف ذلك [1].

وجالوت وأصحابه هؤلاء الذين سلبوا التابوت : لما استقر في أيديهم وصار عندهم أتوا به قرية من قرى فلسطين يقال لها أزدود وضعوه في كنيسة لهم فيها أصنام وقيل جعلوه في بيت صنم لهم بأرضهم ووضعوه تحت الصنم الأعظم والكبير فلما أصبحوا من الغد إذا التابوت على رأس الصنم والصنم تحته فأخذوا التابوت فوضعوه تحت الصنم وشدوه إلى رجليه ووضعوا الصنم فوقه وشمروا قدمي الصنم على التابوت فلما كان اليوم الثاني فأصبحوا وقد قطعت يدا الصنم ورجلاه وألقيت تحت التابوت وأصبح ملقى تحت التابوت والتابوت فوق الصنم، وأصبحت أصنامهم منكسة فلما تكرر هذا علموا أن هذا أمر من الله تعالى فأخرجوه من بيت الصنم ومن بلدهم ووضعوه في ناحية من مدينتهم وجعلوه في قرية قوم من قراهم، فأصاب أهل تلك الناحية وأولئك القوم داء ووجع في رقابهم وأعناقهم حتى هلك أكثرهم فلما طال عليهم هذا قال بعضهم لبعض أليس قد علمتم أن إله بني إسرائيل لا يقوم له شيء فأخرجوه إلى قرية كذا فبعث الله على أهل تلك القرية فأرا فكانت الفأرة تبيت مع الرجل فيصبح ميتا قد أكلت ما في جوفه فأخرجوه إلى الصحراء فدفنوه في مخرأة قوم وجعلوه في موضع البول والغائط [2] .

---

١ ينظر :جامع البيان ٢٩٥/٥ ، ٣٢٢ ، الجامع لأحكام القرآن ٢٤٧/٣ . ٢٤٨ ، إرشاد العقل السليم : ١/ ٢٤١ ، معالم التنزيل ٢٢٩/١ ، الجواهر الحسان ١٩١/١ . ١٩٢ الوجيز ٦٨/١ ، روح المعاني ١٦٨/٢ ، تفسير ابن أبي حاتم ١٨٦/٩ ، قصص الأنبياء ٤٨٠ .

٢ ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٤٧/٣ . ٢٤٨ ، إرشاد العقل السليم : ١/ ٢٤١ ، معالم التنزيل ٢٢٩/١ . ٢٣٠ ، الجواهر الحسان ١٩١/١ . ١٩٤ الوجيز ٦٨/١ ، فتح القدير ٢٦٦/١ ، روح المعاني ١٦٨/٢ ، تفسير ابن أبي حاتم ١٨٦/٩ ، معاني القرآن ٢٥٢/١ ، قصص الأنبياء ٤٨٠ . ٤٨١ .

فلما أراد الله تعالى أن يملك طالوت وان يرد عليهم التابوت سلط على العمالقة . وقيل بني إسرائيل . البلاء الوصب حتى أن كل من بال وتبرز عنده ابتلى وأصيب بالبواسير وقيل بالناسور والقولنج وهلكت من بلادهم خمس مدائن فعلم الكفار أن ذلك بسبب استهانتهم بالتابوت فلما عظم بلاؤهم كيفما كان فتحيروا فقالت لهم امرأة كانت عندهم من سبى بني إسرائيل من أولاد الأنبياء ولا تزالون ترون ما تكرهون ما دام هذا التابوت فيكم فأخرجوه عنكم وردوه إلى بني إسرائيل فعلموا أنه من أجل التابوت فأتوا بعجلة بإشارة تلك المرأة فجعلوه فيها . وقيل : أوحى الله تعالى إلى نبي من أنبيائهم إما دانيال وإما غيره إن كنتم تريدون أن يرفع الله عنكم المرض فأخرجوا عنكم هذا التابوت قالوا بآية ماذا ؟ قال بآية أنكم تأتون ببقرتين صعبتين لم تعملا عملا قط فإذا نظرتم إليهما وضعتم بأعناقهما النير حتى يشد عليهما ثم يشد التابوت على عجل . وحملوه عليها ثم وربطوها في بقرتين وقيل علقوها على ثورين وضربوا جنوبهما فأقبل الثوران يسيران وأرسلوهما في الأرض نحو بلاد بني إسرائيل ، فبعث الله تعالى أربعة من الملائكة ووكل بهما أن يسوقوها فذلك قوله تعالى تحمله الملائكة بين السماء والأرض أي : تسوقه سيرا سريعا ، وهو مثل قولهم حملت متاعي إلى موضع كذا . فأقبلا حتى وقفا على أرض بني إسرائيل فلما بلغتا طرف القدس كسرا نيرهما وقطعا حبالهما وتركاها وذهبا ووضعا التابوت في أرض فيها حصاد بني إسرائيل وهم ينظرون كما أخبرهم نبيهم بذلك ،ورجعا إلى أرضهما فلم يرع بني إسرائيل إلا بالتابوت حتى أتوا منزل طالوت ووضعته عنده فلما سألوا نبيهم البينة على ملك طالوت قال لهم النبي أن آية ملكه أنكم تجدون التابوت في داره فلما رأوا ذلك ووجدوه عنده قالوا نعم فآمنوا بنبوة النبي وسلموا لطالوت وملكوه وأيقنوا بملكه وكبروا وحمدوا الله وتأهبوا للخروج إلى الجهاد فأسرعوا لطاعته وخرجوا معه [١].

١ ينظر :جامع البيان ٣٢٢/٥ . ٣٣٦ ، الجامع لأحكام القرآن ٢٤٧/٣ . ٢٤٨ ، أنوار التنزيل ٥٤٥/١ ، إرشاد العقل السليم : ١/ ٢٤١ ، معالم التنزيل ٢٢٩/١ . ٢٣٠ ، الجواهر الحسان ١٩١/١ . ١٩٢ الوجيز ٦٨/١ ، فتح القدير ٢٦٦/١ ، روح المعاني ١٦٨/٢ ، فتح البيان ٧٤/٢ ، ٧٦ ، تفسير القرآن للصنعاني ٩٩/١ . ١٠٠ ، تفسير ابن أبي حاتم ٩/ ١٨٤ ، ١٨٦ ، ٢١٥ ، معاني القرآن ٢٥٢/١ ، قصص الأنبياء ٤٨٠ . ٤٨١ ، التفسير الوسيط ١٤١/١ ، التفسير المنير ٤٢٦/٢ .

قال الشوكاني : وقد ورد هذا المعنى مختصرا ومطولا عن جماعة من السلف فلا يأتي التطويل بذكر ذلك بفائدة يعتد بها [١].

وقال ابن عباس (رضي الله عنهما) : إن التابوت وعصا موسى في بحيرة طبرية [٢] . وإنهما يخرجان قبل يوم القيامة [٣].

رفعه إلى السماء :

كل الروايات السابقة لم يذكر فيها أن الله قد رفعه ، بينما هناك روايات أخرى ذكرت أن الله قد رفعه وأن الملائكة هي التي أتت به من السماء .

فيروى عن ابن عباس (رضي الله تعالى عنهما) أنه قال : كان قد رفعه الله عز وجل بعد وفاة موسى (عليه السلام) سخطا على بني إسرائيل لما عصوا واعتدوا فلما طلب القوم من نبيهم آية تدل على ملك طالوت قال لهم أن آية ملكه أن يأتيكم التابوت من السماء والملائكة يحفظونه فأتاهم كما وصف فنزلت به الملائكة والقوم ينظرون إليه ويشاهدونه حتى أنزلوه عند بيت طالوت [٤].

ويروى عنه أيضا : أن التوراة كانت عند بني إسرائيل ، يعملون بها ما شاء الله تعالى أن يعملوا والتابوت فيهم فأضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فلما رأى الله سبحانه وتعالى أنهم قد أضاعوا التوراة وعملوا بالأهواء رفع الله عنهم التابوت وأنساهم التوراة ونسخها من صدورهم وأرسل عليهم مرضا فاستطلقت بطونهم منه حتى نسوا التوراة ونسخت من صدورهم وفيهم عزير فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا بعد ما نسخت التوراة من صدورهم وكان عزير قبل من علمائهم فدعا عزير وتضرع إلى الله تعالى وابتهل إليه أن يرد إليه

---

١ فتح القدير ٢٦٦/١ ، وينظر : فتح البيان ٧٤/٢ .

٢وهي بحيرة تقع في بلدة طبرية أهم مدن فلسطين ، وهي على شكل بركة يُحيط بها الجبل ويصب فيها فضلات أنهُر كثيرة تجيءُ من جهة بانياس والساحل والأردُن الأكبر ، وطولها عشرة أميال ، وعرضها ستة أميال ، ويبسها علامة لخروج الدجال، تيبس حتى لا يبقى فيها قطرة . ينظر : معجم البلدان ٢٤٨/١ ، آثار البلاد وأخبار العباد ٢١٨/١ ، معجم ما استعجم ٢٢٩/١ ، تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير٢ / ١١٧ .

٣ ينظر : معالم التنزيل ٢٢٩/١ ، فتح القدير ٢٦٦/١ ، فتح البيان ٧٤/٢ .

٤ينظر : إرشاد العقل السليم : ١/ ٢٤١ . ٢٤٢ ، أنوار التنزيل ٥٤٤/١ ، روح المعاني ١٦٨/٢ .

الذي نسخ من صدره فبينما هو يصلي مبتهلا إلى الله تعالى نزل نور من السماء فدخل جوفه فعاد حفظ التوراة إلى قلبه فأذن في قومه وقال يا قوم إن الله تعالى قد آتاني التوراة وردها إلى فطفق بها الناس يعلمهم فمكثوا ما شاء الله تعالى أن يمكثوا وهو يعلمهم ثم إن التابوت نزل عليهم بعد ذهابه منهم فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان فيه على الذي تلاه عزير وما كان يعلمهم فوجدوه مثله فقالوا والله ما أوتي عزير هذا إلا أنه ابن الله سبحانه [١].

قصة إتيانه :

من الروايات السابقة والمختلفة ذكر بعض العلماء أن هناك خلافا حصل في إتيانه هل كان حقيقة مجازا ؟ فالرواية التي تذكر أنه نزل من السماء والملائكة كانت تحفظه كان إتيانه حقيقة ، والرواية التي تذكر أن الثورين هما من أتيا به كان إتيانه مجازا ؛ لأنه أتي به ولم يأت هو بنفسه [٢].

وقد قال القمي : وقد أضيف الحمل إلى الملائكة في القولين جميعا ؛ لأن من حفظ شيئا في الطريق ، جاز أن يوصف بأنه حمل ذلك الشيء [٣].

فيه سكينة من ربكم :

هي جملة اسمية [٤] ، قال الآلوسي : الجملة في موضع الحال و(من) لابتداء الغاية أو للتبعيض أي : من سكينات ربكم [٥] .

وقال مكي القيسي : ابتداء وخبر في موضع الحال من التابوت [٦].

وذكر المفسرون : أن الضمير في (فيه) إما أن يكون للإتيان وإما أن يكون للتابوت نفسه ، فإن كان للإتيان كان المعنى : أن في إتيانه سكونا لكم وطمأنينة كائنة من ربكم

١ينظر : معالم التنزيل ٢٤٨/٢ . إرشاد العقل السليم ٥٩/٤ ، روح المعاني ٨٠/١٠ .٨١ .

٢ ينظر : غرائب القرآن ٦٦٧/١ .

٣ غرائب القرآن ٦٦٧/١ .

التفسير المنير ٤٢٦/٢ . ٤

روح المعاني ١٦٩/٢ ، وينظر : التبيان في إعراب القرآن ١٠٤/١ . ٥

مشكل إعراب القرآن ١٣٥/١ . ٦

، والسكينة حينئذ مصدر. وإن كان للتابوت نفسه كان المعنى : أنه مودع فيه ما تسكنون إليه وهو التوراة [١].

وقال ابن عباس (رضي الله تعالى عنهما) : كل سكينة في القرآن فهي طمأنينة إلا في سورة البقرة [٢] ، أي : طمأنينة في القلب [٣] .

واختلف المفسرون في حقيقة السكينة ههنا ، هل هي عين قائمة بنفسها أو معنى ؟ على قولين [٤] .

القول الأول : أنها عين .

وأصحاب هذا القول اختلفوا في صفتها [٥] :

فعن أبي مسلم : كان في التابوت بشارات من كتب الله المنزلة على موسى وهارون ومن بعدهما من الأنبياء (عليهم السلام) بأن الله تعالى ينصر طالوت وجنوده فيزول خوف العدو عنهم [٦] .

فروى عن على بن أبي طالب (رضي الله تعالى عنه وكرم وجهه) : هي ريح أو روح خجوج هفافة . أي سريعة المرور في هبوبها . ، وروى عنه أيضا أنها ريح صفاقة ولها رأسان ولها صورة ووجه كوجه الإنسان ، وهي بعدَ ريح أَحمر [٧] ،

وروى عن علي أيضا أنه قال : أرسل الله السكينة إلى إبراهيم .

---

١ ينظر : أنوار التنزيل ٥٤٤/١ ، روح المعاني ١٦٩/٢ ، إرشاد العقل السليم ٢٤١/١ ،تفسير القرآن للصنعاني ١٠٠/١ . ١٠١ ، فتح البيان ٧٣/٢ .

٢ تاج العروس ٢٣٩/٩ .

٣ البرهان ١٠٧/١ .

٤ ينظر : بدائع التفسير ٤١١/١، تاج العروس ٢٣٩/٩ .

٥ ينظر : بدائع التفسير ٤١١/١، تاج العروس ٢٣٩/٩ .

٦ غرائب القرآن ٦٦٨/١ .

٧ينظر : الكشاف ١٤٢ ، الجامع لأحكام القرآن ٢٤٩/٣ ، الدر المنثور ٧٥٧/١ – ٧٥٨ ، معالم التنزيل ٢٢٩/١ ، تفسير القرآن العظيم ٣٠٢/١ ، بدائع التفسير ٤١١/١ ، غرائب القرآن ٦٦٨/١ ، قصص الأنبياء ٤٨٠ ، معاني القرآن ٢٤٩/١ . النكت والعيون ٣١٥/١ ، فتح البيان ٧٤/٢ ، وجاء في فتح القدير ٢٦٧/١ : أخرج الطبراني بسند ضعيف ، ثم ذكر هذا الأثر ، ينظر : المعجم الأوسط ٨٩/٧ رقم الحديث ٦٩٤١ .

وقيل : إنها حيوان لها وجه كوجه الإنسان مجتمع وسائرها خلق رقيق كالريح والهواء [١] .
وروي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة : هي كهيئة الريح لها وجه كوجه الهر ، أو صورة أو دابة أو حيوان أو شيء يشبه أو كالهرة أو قدرها له رأس كرأس الهرة ووجه كوجهها وله جناحان وذنب كذنب الهرة كانت في التابوت ، وقيل له عينان لهما شعاع وجناحان من زمرد وزبرجد وقيل من ياقوت ، فإذا التقى الجمعان صرخت وصاحت في حال الحرب وسمعوا صوته ينبئ بالظفر وأيقن بنو إسرائيل بالنصرة ، وكانوا إذا خرجوا وضعوا التابوت قدامهم فإذا سار ساروا وإذا وقف وقفوا ، ولعينيه شعاع أخرجت يدها ونظرت إليهم فإذا نظر إلى الجيش انهزم من ذلك من الرعب [٢] .
وقيل أنها : تئن فيزف التابوت أو الياقوت . أي يسرع . نحو العدو وهم يمضون معه ويتبعونه فإذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر [٣]. قال النحاس : أنه كان يسمع فيه أنين فإذا سمعوا ذلك ساروا لحربهم وإذا هدأ الأنين لم يسيروا ولم يسر التابوت [٤] .
وضعف الأصفهاني هذا الكلام فقال : وما ذكر أنه شيء رأسه كرأس الهر فما أراه قولا يصح [٥] ، وأيده على ذلك الآلوسي [٦] . وقال محقق تفسير البيضاوي : من الإسرائيليات [٧]، وقال محقق مفردات ألفاظ القرآن : هذا أشبه بروايات الإسرائيليات [٨] .

---

١ تاج العروس ٢٣٩/٩ ، وينظر : تهذيب اللغة ٣٢٩/٣ .

٢ ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٤٩/٣ ، معالم التنزيل ٢٢٩/١ ، الجواهر الحسان ١٩٤/١ ، بدائع التفسير ٤١١/١، غرائب التفسير ٢٢٢/١ ، غرائب القرآن ٦٦٨/١ ، فتح البيان ٧٤/٢ ، قصص الأنبياء ٤٨٠ ، تفسير القرآن للصنعاني ١٠١/١

٣ ينظر : إرشاد العقل السليم ٢٤١/١ ، فتح القدير ٢٦٧/١ ، روح المعاني ١٦٩/٢ ، الدر المنثور ٧٥٧/١ . ٧٥٨ ، تفسير القرآن العظيم ٣٠٢/١ ، أنوار التنزيل ٥٤٤/١ ، البرهان ١٠٨/١ ، معاني القرآن ٢٥٠/١ ، تهذيب اللغة ٣٢٩/٣ ، لسان العرب ١٣/ ٢١١ . ٢١٣ مادة (سكن) ، كتاب العين ٣١٣/٥ ، تاج العروس ٢٣٩/٩ ، جمهرة اللغة ٤٧٨/١ .

٤ الجامع لأحكام القرآن ٢٤٧/٣ – ٢٤٨ .

٥ مفردات ألفاظ القرآن ٤١٧ ، وينظر : تاج العروس ٢٣٩/٩ ، تهذيب اللغة ٣٢٩/٣ .

٦ ينظر : روح المعاني ١٦٩/٢ .

٧ تفسير أنوار التنزيل ٥٤٤/١ .

٨ ينظر : مفردات ألفاظ القرآن ٤١٧ .

وروي عن ابن عباس (رضـي الله عنهما) والسدي وأبي مالك وهو قول الآلوسي أيضا : هي طشت [١] أو طست من ذهب من الجنة ، كانت تغسل فيها قلوب وصدور الأنبياء ، ألقى الألواح فيها [٢] .

وقال وهب بن منبه : هي روح من الله تتكلم ، فكانوا إذا اختلفوا في شيء أو أمر نطقت وأخبرتهم ببيان ما يريدون ، وإذا صاحت في الحرب كان الظفر لهم [٣] .

وعن الحسن البصري أن سَكينة بني إسرائيل : ما في التابوت من مواريث الأنبياء (عليهم السلام) وقد جعل الله لهم سَكينةً لا يفرّون أبداً وتطمئنّ قلوبهم إليه [٤].

وقال ابن الجوزية : وعلى هذا القول يكون المعنى أن السكينة في نفس التابوت ، ويؤيده عطف قوله (وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون) [٥].

القول الثاني : أنها معنى .

قال الزجاج : أي فيه ما تسكنون به إذا أتاكم [٦] ، وقال الفراء : من العرب من يقول أنزل الله عليهم السكينة للسكينة [٧] ، وقال مجاهد وعطاء بن أبي رباح : هي ما تعرفون من الآيات التي تسكنون إليها [٨] .

---

١ ينظر : معالم التنزيل ٢٢٩/١ ، فتح البيان ٧٤/٢ .

٢ ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٤٩/٣ ،الجواهر الحسان ١٩٤/١ ، بدائع التفسير ٤١١/١ ، فتح القدير ٢٦٧/١ ، النكت والعيون ٣١٦/١ ، روح المعاني ١٦٩/٢ ، معاني القرآن ٢٥٠/١ . ٢٥١ ، تاج العروس ٢٣٩/٩ .

٣ ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٤٩/٣ ، معالم التنزيل ٢٢٩/١ ، بدائع التفسير ٤١١/١ ، فتح القدير ٢٦٧/١ ، فتح البيان ٧٤/٢ ،تفسير القرآن للصنعاني ١٠٠/١ ، تاج العروس ٢٣٩/٩ .

٤ ينظر : فتح القدير ٢٦٧/١ ، كتاب العين ٣١٣/٥ ، لسان العرب ٢١١/١٣ . ٢١٣ مادة (سكن) ، جمهرة اللغة ٤٧٨/١ ، تهذيب اللغة ٣٢٩/٣ .

٥ ينظر : بدائع التفسير ٤١١/١ .

٦ ينظر : لسان العرب ٢١١/١٣ ، ٢١٣ مادة (سكن) ، تهذيب اللغة ٣٢٩/٣ ، تاج العروس ٢٣٩/٩ ، بدائع التفسير ٤١١/١ .

٧ لسان العرب ٢١٣/١٣ مادة (سكن) .

٨ينظر : معاني القرآن ٢٥١/١ ، معالم التنزيل ٢٢٩/١ ، الجواهر الحسان ١٩٤/١ ، بدائع التفسير ٤١١/١ ، النكت والعيون ٣١٦/١ ، فتح البيان ٧٤/٢ ، تاج العروس ٢٣٩/٩ .

وقيل : هي الوداعة والوقار من ربكم والطمأنينة لقلوبكم وسكون للنفس وما يسكن به الإنسان [١]، وهي رواية لابن عباس وقتادة والكلبي [٢] ، فكانت قلوبهم تطمئن بذلك ففي أي مكان كان التابوت اطمأنوا إليه وسكنوا هناك وكان ذلك من أمر الله تعالى [٣] ، وقال الأصفهاني : السكينة والسكن واحد ، وهو : زوال الرعب [٤] .

وقال القرطبي : أي : هو سبب سكون قلوبكم فيما اختلفتم فيه من أمر طالوت ، وأينما كانوا سكنوا إليه ولم يفروا من التابوت إذ كان معهم في الحرب ونظيره (فأنزل الله سكينته عليه) ، أي : أنزل عليه ما سكن به قلبه [٥] .

وقيل : فيه حكمة [٦] .

وقيل : هي النصر [٧] .

وعن ابن عباس والربيع بن أنس والضحاك : هي الرحمة [٨] .

وقيل : فيه صورة الأنبياء من آدم إلى محمد (عليهم الصلاة والسلام)[٩] .

والقائل أن التابوت هو القلب قال : إن السكينة هي ما فيه من العلم والإخلاص ، وإتيانه مصير قلبه مقرا للعلم والوقار بعد أن لم يكن [١٠]. وهذا القول . كما اشرنا سابقا . عدل

---

١ ينظر : تفسير القرآن للصنعاني ٩٨/١ ، الدر المنثور ٧٥٧/١ . ٧٥٨ ، تفسير القرآن العظيم ٣٠٢/١ ، فتح القدير ٢٦٥/١ ، فتح البيان ٧٣/٢ ، ٧٦ ، لسان العرب ٢١٣/١٣ مادة (سكن) ، التفسير الوسيط ١٤١/١ .

٢ ينظر : فتح القدير ٢٦٧/١ ، النكت والعيون ٣١٦/١ ، بدائع التفسير ٤١١/١ .

٣ينظر : معالم التنزيل ٢٢٩/١ ، الجواهر الحسان ١٩٤/١ ، بدائع التفسير ٤١١/١ ، تاج العروس ٢٣٩/٩ ، الوجيز ٦٨/١ .

٤ مفردات ألفاظ القرآن ٤١٧ ، وينظر : تاج العروس ٢٣٩/٩ ، تهذيب اللغة ٣٢٩/٣ .

٥ الجامع لأحكام القرآن ٢٤٨/٣ – ٢٤٩ ، وينظر : فتح القدير ٢٦٥/١ ، فتح البيان ٧٣/٢ .

٦مفردات ألفاظ القرآن ١٦٢ .

٧ لسان العرب ٢١٣/١٣ مادة (سكن) ، النهاية في غريب الأثر ٦١٧/٥ .

٨ ينظر : الدر المنثور ٧٥٧/١ ، تفسير القرآن العظيم ٣٠٢/١ ، فتح القدير ٢٦٧/١ ، النكت والعيون ٣١٦/١ ، معاني القرآن ٢٥٠/١ ، لسان العرب ٢١٣/١٣ مادة (سكن) .

٩ أنوار التنزيل ٥٤٤/١ .

١٠ ينظر : أنوار التنزيل ٥٤٤/١ ، مفردات ألفاظ القرآن ١٦٢ .

قائله وصرفه عن المعنى الظاهر للآية إلى معنى خفي وباطني فهمه ، قال الكازروني عن هذا القول : هذا التفسير لا يلائم ما سيجيء من قوله تعالى (وبقية مما ترك آل موسى) على ما فسره برضاض الألواح وغيره اللهم إلا أن يقال : إن بقي على هذا التقدير عطف على التابوت [١] ، وقال محقق تفسير البيضاوي الشيخ عبد القادر معلقا على هذا القول أيضا : هذا التأويل هو كلام أهل المعاني أو الإشارات ، وهو تأويل فاسد لا يعتد به مخالف لما نص عليه القرآن الكريم فتنبه لذلك رحمك الله تعالى [٢].

وقد ذكر الطبري أن أحسن وأجمع قول من هذه الأقوال ؛ هو من قال بأن المراد بها آية يسكنون إليها [٣] ، حيث قال : وأولى هذه الأقوال بالحق في معنى"السكينة" ، ما قاله عطاء بن أبي رباح: من الشيء تسكن إليه النفوس من الآيات التي تعرفونها. وذلك أن " السكينة " في كلام العرب"الفعيلة"، من قول القائل:"سكن فلان إلى كذا وكذا" ، إذا اطمأن إليه وهدأت عنده نفسه، " فهو يسكن سكونا وسكينة " ، وإذا كان معنى"السكينة" ما وصفت، فجائز أن يكون ذلك على ما قاله علي بن أبي طالب على ما روينا عنه، وجائز أن يكون ذلك على ما قاله مجاهد على ما حكينا عنه، وجائز أن يكون ما قاله وهب بن منبه وما قاله السدي، لأن كل ذلك آيات كافيات تسكن إليهن النفوس، وتثلج بهن الصدور. وإذا كان معنى"السكينة" ما وصفنا، فقد اتضح أن الآية التي كانت في التابوت، التي كانت النفوس تسكن إليها لمعرفتها بصحة أمرها، إنما هي مسماة بالفعل وهي غيره، لدلالة الكلام عليه [٤] .

وكذا قال القنوجي حيث قال : وهذا القول . أي الطمأنينة . أولى بالصحة فعلى هذا كل شيء كانوا يسكنون إليه فهو سكينة ، فيحمل جميع ما قيل فيه ؛ لأن كل شيء يسكن إليه القلب فهو سكينة ، ولم يرد فيه نص صريح ، فلا يجوز تصويب قول وتضعيف آخر ، والمرجع فيه إلى اللغة كما تقدم والله أعلم [٥] .

---

١ حاشية الكازروني ٥٤٤/١ . ٥٤٥ .

٢ تفسير أنوار التنزيل ٥٤٤/١ .

٣ ينظر : معاني القرآن ٢٥١/١ ، فتح القدير ٢٦٥/١ ، فتح البيان ٧٣/٢ .

٤ ينظر : جامع البيان ٣٢٩/٥. ٣٣٠ ، تفسير المنار ٣٩٠/٢ .

٥فتح البيان ٧٦/٢ .

وقال القمي : هي " فعيلة " من السكون ضد الحركة ومعناه الوقار ، ومصدر وقع موقع الاسم كالعزيمة [١].

وقال القرطبي [٢] : وفي صحيح مسلم عن البراء قال : كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوط بشطنين فتغشته سحابة فجعلت تدور وتدنو وجعل فرسه ينفر منها فلما أصبح أتى النبي (صلى الله عليه وسلم) فذكر ذلك له فقال تلك السكينة تنزلت للقرآن [٣] ، وفي حديث أبي سعيد الخدري أن أسيد بن حضير بينما هو ليلة يقرأ في مربده الحديث وفيه قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تلك الملائكة كانت تستمع لك ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم [٤] . أخرجه البخاري ومسلم ثم قال : فأخبر (صلى الله عليه وسلم) عن نزول السكينة مرة ومرة عن نزول الملائكة فدل على أن السكينة كانت في تلك الظلة وأنها تنزل أبدا مع الملائكة وفي هذا حجة لمن قال إن السكينة روح أو شيء له روح لأنه لا يصح استماع القرآن إلا لمن يعقل والله أعلم [٥] .

وقد بين الشوكاني رأيه في أقوال المفسرين هذه . بعد أن ذكرها . وذكر أن كل ذلك هو من اليهود ، أرادوا به تشكيك المسلمين حيث قال : وأقول هذه التفاسير المتناقضة لعلها وصلت إلى هؤلاء الأعلام من جهة اليهود فجاءوا بهذه الأمور لقصد التلاعب بالمسلمين (رضي الله عنهم) والتشكيك عليهم وانظر إلى جعلهم لها تارة حيوانا وتارة جمادا وتارة شيئا لا يعقل كقول مجاهد كهيئة الريح لها وجه كوجه الهر وجناحان وذنب مثل ذنب الهر وهكذا كل منقول عن بني إسرائيل يتناقض ويشتمل على ما لا يعقل في الغالب ولا

١غرائب القرآن ٦٦٨/١ .

٢ الجامع لأحكام القرآن ٢٤٩/٣ .

٣ ينظر : صحيح مسلم ٥٤٧/١ باب نزول السكينة لقراءة القرآن ، رقم الحديث (٧٩٥) ، فتح القدير ٢٦٧/١ .

٤ الحديث طويل عن أسيد بن حضير ، ينظر : صحيح البخاري ١٩١٦/٤ باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن ، رقم الحديث (٤٧٣٠) ، صحيح مسلم ١/ ٥٤٨ باب نزول السكينة لقراءة القرآن ، رقم الحديث (٧٩٦) .

الجامع لأحكام القرآن ٢٤٩/٣ . ٥

يصح أن يكون مثل هذه التفاسير المتناقضة مرويا عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا رأيا رآه قائله فهم اجل قدرا من التفسير بالرأي وبما لا مجال للاجتهاد فيه إذا تقرر لك هذا عرفت أن الواجب الرجوع في مثل ذلك إلى معنى السكينة لغة وهو معروف ولا حاجة إلى ركوب هذه الأمور المتعسفة المتناقضة فقد جعل الله عنها سعة ولو ثبت لنا في السكينة تفسير عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لوجب علينا المصير إليه والقول به ولكنه لم يثبت من وجه صحيح بل ثبت أنها تنزلت على بعض الصحابة عند تلاوته للقرآن كما في صحيح مسلم عن البراء [١] ، ثم ذكر الحديث السابق ذكره آنفا ثم قال بعده : وليس في هذا إلا أن هذه التي سماها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سكينة سحابة دارت على ذلك القارئ فالله أعلم [٢].

وبعد كل هذه الآراء لهؤلاء العلماء يتبين لنا أن أكثر هذه الآراء هي من الإسرائيليات التي كثرت في أغلب التفاسير . وأن الراجح فيما نراه من معنى السكينة هو ما يسكنون إليه من آيات ، والله أعلم .

وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون :

قال الطبري : البقية : هي الشيء الباقي ، من قول القائل:" قد بقي من هذا الأمر بقية " [٣] ، واختلف أهل التأويل في (البقية) التي كانت بقيت من تركهم [٤]

عن ابن عباس وقتادة والسدي : هي عصا موسى ورضاض الألواح [٥].

وعن ابن عباس أنه قال: رضاض الألواح [٦] ، وقال : كان موسى حين ألقى الألواح تكسرت ورفع منها، فجعل الباقي في ذلك التابوت [٧]. وروي أن موسى لما جاء قومه

---

١ فتح القدير ٢٦٧/١ .

٢ فتح القدير ٢٦٧/١ ، وقد ورد هذا الكلام نصا في فتح البيان ٧٥/٢ ولم يذكر فيه أنه للشوكاني ، فلعله وقع فيه سقط ، وقد نبه إلى ذلك محقق فتح البيان .

٣جامع البيان ٣٣٠/٥ ، وينظر : غرائب القرآن ٦٦٨/١ .

٤ينظر : جامع البيان ٣٣١/٥.

٥ينظر : جامع البيان ٣٣١/٥ . ٣٣٢ ، النكت والعيون ٣١٦/١ .

٦ينظر : جامع البيان ٣٣١/٥.

٧ينظر : جامع البيان ٣٣٣/٥ .

بالألواح فوجدهم قد عبدوا العجل ألقى الألواح غضبا فتكسرت فنزل ورفع منها ما كان صحيحا وأخذ وجمع رضاض ما تكسر وما بقي فجعله في التابوت ، وقيل لم يبق منها إلا سدسها [١] .

عن الربيع :عصا موسى وأثور [٢] ، من التوراة [٣].

عن عكرمة قال: التوراة ورضاض الألواح والعصا ، قال وكيع: ورضاضه كسره [٤].

وقال آخرون: عصا موسى وعصا هارون، وشيء من الألواح [٥].

عن أبي صالح : قال: كان فيه عصا موسى وعصا هارون، ولوحان من التوراة، والمن [٦].

عن عطية بن سعد قال: عصا موسى، وعصا هارون، وثياب موسى ، وثياب هارون ، ورضاض الألواح [٧].

وقال آخرون: بل هي العصا والنعلان [٨].

سئل الثوري عن ذلك فقال: منهم من يقول: البقية قفيز [٩]. من مَنٍّ ، ورضاض الألواح– ومنهم من يقول: العصا والنعلان [١٠].

عن عطاء بن أبي رباح قال : العلم والتوراة [١١].

١ينظر :جامع البيان ٣٢٢/٥ ، الجامع لأحكام القرآن ٣/ ٢٥٠ .

٢جاء في هامش جامع البيان ٣٣٢/٥ ، أنه جمع أثر : وهو بقية الشيء ، وما بقى من رسم الشيء ، وجمعه آثار وأثور . وهي هنا بمعنى الرضاض .

٣ينظر : جامع البيان ٣٣٢/٥ .

٤ينظر : جامع البيان ٣٣٢/٥ .

٥ينظر : جامع البيان ٣٣٢/٥ .

٦ينظر : جامع البيان ٣٣٢/٥ .

٧ينظر : جامع البيان ٣٣٣/٥ .

٨ينظر : جامع البيان ٣٣٣/٥ .

٩جاء في هامش (١) من جامع البيان ٣٣٣/٥ : أن القفيز : مكيال من المكاييل ، كان عند أهل العراق ثمانية مكاكيك .

١٠ينظر : جامع البيان ٣٣٣/٥ .

١١ينظر : جامع البيان ٣٣٤/٥ ، النكت والعيون ٣١٦/١ .

وعن الحسن : أنها التوراة وشيء من ثياب موسى [١].

وقال آخرون: بل كان ذلك العصا وحدها [٢].

وعن وهب بن منبه قال : كان فيه عصا موسى والسكينة [٣].

وقال آخرون: بل كان ذلك، رضاض الألواح وما تكسر منها [٤].

وعن الضحاك: بل ذلك الجهاد في سبيل الله وقتال الأعداء [٥] ، وبذلك قاتلوا مع طالوت، وبذلك أمروا [٦].

قال ابن عطية : أي الأمر بذلك في التابوت ، أما أنه مكتوب فيه ، وإما أن نفس الإتيان به هو كالأمر بذلك ، وأسند الترك إلى آل موسى و آل هارون ؛ من حيث كان الأمر مندرجا من قوم إلى قوم وكلهم آل موسى وآل هارون و(آل الرجل) ؛ قرابته [٧] .

وقال الدكتور وهبه الزحيلي : فيه بقية قطع من ألواح التوراة ومخلفات وأشياء توارثها العلماء أو آثار آل موسى وآل هارون عصاه ونعلاه وقفيز من المن الذي كان ينزل عليهم [٨].

وبين الطبري رأيه في هذه المسألة وكان رأيا صائبا وصحيحا حيث قال : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن التابوت الذي جعله آية لصدق قول نبيه صلى الله عليه الذي قال لأمته " إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا " أن فيه سكينة منه، وبقية مما تركه آل موسى وآل هارون ، وجائز أن يكون تلك البقية: العصا، وكسر الألواح، والتوراة، أو بعضها، والنعلين، والثياب، والجهاد في سبيل الله ، وجائز أن

---

١ النكت والعيون ٣١٦/١ .

٢ ينظر : جامع البيان ٣٣٣/٥ .

٣ ينظر : جامع البيان ٣٣٣/٥ .

٤ ينظر : جامع البيان ٣٣٣/٥ .

٥ ينظر : جامع البيان ٣٣٤/٥ ، الجامع لأحكام القرآن ٢٥٠/٣ ، النكت والعيون ٣١٦/١ ، معاني القرآن ٢٥٠/١ .

٦ ينظر : جامع البيان ٣٣٤/٥ .

٧ الجامع لأحكام القرآن ٢٥٠/٣ ٧

٨ ينظر : تفسير الوسيط ١٤١/١ ، التفسير المنير ٤٢٦/٢ ، ٤٢٨ .

يكون بعض ذلك، وذلك أمر لا يدرك علمه من جهة الاستخراج ولا اللغة، ولا يدرك علم ذلك إلا بخبر يوجب عنه العلم . ولا خبر عند أهل الإسلام في ذلك للصفة التي وصفنا. وإذ كان كذلك، فغير جائز فيه تصويب قول وتضعيف آخر غيره، إذ كان جائزا فيه ما قلنا من القول [١].

وجاء في تفسير المنار عن السكينة والبقية : فقد كثرت فيه الروايات ومنها ما لا يدل عليه نقل ولا يقبله عقل ، على أنها متعارضة لا يمكن الجمع بينها كما ترى في تفسير ابن جرير ، وهو أم التفاسير ، وقد أوردنا ما أوردنا من كتب اليهود ليعلم أن أكثر ما ذكر عن التابوت وعما فيه من الغرائب لا أصل له في تلك الكتب وإنما وحي الله تعالى ناطق بأن فيه سكينة ، والسكينة في اللغة ما تسكن إليه النفس ويطمئن به القلب ، وفي إتيان الصندوق سكينة لا تخفى لما كان له من الشأن الديني عند القوم ، أو فيه ما يحدث لهم سكينة وهي الفيران والبواسير الذهب التي تدل على خوف العدو ، أو الألواح أو رضاضها ، وهي البقية مما ترك آل موسى وآل هارون ، وروي عن عطاء نحو ما قلناه [٢] .

واختلف المفسرون كابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن البصري ووهب بن منبه وعطية بن سعد وأبي مالك وأبي صالح والواحدي والصنعاني والثوري وابن أبي حاتم وأبي السعود والبغوي والآلوسي في تفسير البقية وروي عن بعضهم روايات مختلفة ، واتفق بعضهم في بعضها واختلفوا في الأخرى ، ولذا آثرنا أن نذكر ههنا تلك الأقوال مجتمعة منعا للتكرار .

فقيل : هي عصا موسى ونعلاه وعصا هارون الصفراء وثيابهما وعمامته ولوحان من التوراة رفعا وقطع رضاض الألوح التي كتبت فيها التوراة ، والتوراة وقفيزا وشيئا من المن الذي كان ينزل على بني إسرائيل بالتيه في طست من ذهب والعلم وكلمة الفرج : لا إله إلا الله الحليم الكريم ، وسبحان الله رب السماوات السبع ورب

---

١ جامع البيان ٥/٣٣٤ .

٢ ينظر : تفسير المنار ٢/ ٣٨٩ . ٣٩٠ .

العرش العظيم والحمد لله رب العالمين ، وفيه ميراث الأنبياء عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام [١] .

وقال ابن عطية : والصحيح أن التابوت كانت فيه أشياء فاضلة من بقايا الأنبياء وآثارهم فكانت النفوس تسكن إلى ذلك وتأنس به وتقوى[٢] .

واستنتج سعيد أيوب أمورا فذكر : أن القرآن الكريم لما أخبر إن في التابوت بقية مما ترك آل موسى وآل هارون ؛ قال بمعنى إنه لم يكن به مجموع ما ترك آل موسى وآل هارون ، ولازم ذلك أن تراث آل موسى وآل هارون إمتدت إليه الأيدي قبل ظهور طالوت كملك على بني إسرائيل ، فما المانع أن تكون البقية قد إمتدت إليها الأيدي ، وخاصة أن اليهود كانت لهم آنية يتباركون بها. [٣]

و قال الطبري : " مما ترك آل موسى وآل هارون " أي : من تركة آل موسى وآل هارون [٤] .

وقيل آلهما يعني : أنفسهما ، أي : مما ترك موسى وهارون ، والـ (آل) مقحم ؛ لتفخيم شأنهما ، وهو قول الواحدي والبغوي والشوكاني [٥]، قال القمي : ويجوز أن يراد مما تركه موسى وهارون والآل مقحم لتفخيم شأنهما كقوله (صلى الله عليه وسلم) لأبي موسى

١ينظر :جامع البيان ٣٢٢/٥ ، الجامع لأحكام القرآن ٢٤٩/٣ . ٢٥٠ ، الوجيز ٦٨/١ ، الصنعاني ٩٩/١ . ١٠١ ، قصص الأنبياء ٤٨٠ ، إرشاد العقل السليم ٢٤٢/١ ، معالم التنزيل ٢٢٩/١ ، معاني القرآن ٢٥١/١ ، ابن كثير ٣٠١/١ ، فتح القدير ٢٦٥/١ ، ٢٦٧ ، غرائب القرآن ٦٦٨/١ ، فتح البيان ٧٣/٢ ، روح المعاني ١٦٩/٢ ، تفسير ابن أبي حاتم ٢٠٩/٩ ، لسان العرب ٢١١/١٣ . ٢١٣ مادة (سكن) ، تاج العروس ٢٣٩/٩ ، كتاب العين ٣١٣/٥ ، جمهرة اللغة ٤٧٨/١ ، تهذيب اللغة ٣٢٩/٣ .

٢ المحرر الوجيز ٢٩٧/١ ، وينظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٤٩/٣ ، الجواهر الحسان ١٩٤/١ ، فتح ٢ القدير ٢٦٥/١ ، فتح البيان ٧٤/٢ .

٣ ينظر : زوجات النبي ١٠٢/١ .

٤ ينظر : جامع البيان ٣٣١/٥ .

٥ ينظر: الوجيز ٦٨/١ ، معالم التنزيل ٢٢٩/١ ، فتح القدير ٢٦٥/١ ، فتح البيان ٧٣/٢ .

الأشعري " لقد أوتي هذا مزمارا من مزامير آل داود " [١] ، وأراد به داود نفسه ، إذ لم يكن لأحد من آل داود من الصوت الحسن ما كان لداود [٢] .

أو أبناؤهما وأتباعهما [٣] ، قال بعض العلماء [٤]: إنما أضيف ذلك إلى آل موسى وآل هارون ؛ لأن ذلك التابوت قد تداولته القرون بعدهما إلى وقت طالوت ، وفي التابوت أشياء توارثها العلماء من أتباع موسى وهارون فيكون الآل هم الأتباع . قال تعالى " ادخلوا آل فرعون " [٥]،" وإذ نجيناكم من آل فرعون "[٦] .

أو أنبياء بني إسرائيل . أو بني يعقوب . ، لأنهم أبناء عمهما [٧] ، ولأنهما من ذرية يعقوب فسائر قرابته ومن تناسل منه آل لهما [٨] .

تحمله الملائكة :

قرأ حميد بن قيس : (يحمله) بالياء [٩] .

وهي جملة فعلية [١٠] ، وقال أبو السعود : (تحمله الملائكة) حال من التابوت ، أي : إن آية ملكه إتيانه حال كونه محمولا للملائكة [١١].

واختلف العلماء في صفة الحمل على قولين [١٢]:

القول الأول : أنه حمل حقيقي ، والقول الثاني : أنه حمل مجازي .

١ينظر : صحيح البخاري ٤٧٠/١٥ ، كتاب فضائل القرآن ، باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن ، رقم الحديث ٤٦٦٠ .

٢ غرائب القرآن ٦٦٨/١ . ٦٦٩ .

٣ فتح القدير ٢٦٥/١ ، فتح البيان ٧٣/٢ .

٤ غرائب القرآن ٦٦٨/١ .

٥ سورة غافر الآية ٤٦ .

٦ سورة البقرة الآية ٤٩ .

٧ ينظر :أنوار التنزيل ٥٤٤/١ ، إرشاد العقل السليم ٢٤٢/١ ، روح المعاني ١٦٩/٢ .

٨ فتح القدير ٢٦٥/١ ، فتح البيان ٧٣/٢ .

٩ الجامع لأحكام القرآن ٢٤٨/٣ .

١٠ التفسير المنير ٤٢٦/٢ .

١١ ينظر : إرشاد العقل السليم ٢٤٢/١ ، التبيان في إعراب القرآن ١٠٤/١ .

١٢ ينظر :جامع البيان ٣٣٥/٥ .

قال الآلوسي : والحمل إما حقيقة أو مجاز على حد : حمل زيد متاعي إلى مكة [١] .

وقال بالقول الأول : الحسن حيث قال : كان التابوت مع الملائكة في السماء فلما ولي طالوت الملك حملته الملائكة ووضعته بينهم [٢] ، وقال المفسرون : حتى وضعته في دار طالوت [٣].

وكذلك ابن كثير حيث قال : أي تأتيكم به الملائكة يحملونه وأنتم ترون ذلك عيانا ليكون آية لله عليكم وحجة باهرة على صدق ما أقوله لكم وعلى صحة ولاية هذا الملك الصالح عليكم ، ولهذا قال: " إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ".[٤].

وقال ابن عباس (رضي الله عنهما) : جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والأرض وهم ينظرون إليه [٥]. قال ابن زيد: فنزلت الملائكة بالتابوت نهارا ينظرون إليه عيانا، حتى وضعوه بين أظهرهم، فأقروا غير راضين، وخرجوا ساخطين[٦].

وقيل : فأقبلت الملائكة تحمله في الهواء حتى وضعته بينهم فاستوثقت بنو إسرائيل ورأوا التابوت في الهواء حتى نزل بينهم في دار طالوت فأصبح في داره فأقروا بملكه [٧].

وقال بالقول الثاني : أكثر المفسرين كما قال ابن كثير : وهذا قول كثير من المفسرين أو أكثرهم [٨] ، وكما سبق بيانه في مسألة قصته .

من هؤلاء أبو السعود حيث قال : ولعل حمل الملائكة . على الرواية الأخيرة . عبارة عن سوقهم للثورين الحاملين له [٩].

---

١ روح المعاني ١٦٩/٢ .

٢ معالم التنزيل ٢٢٩/١ ، النكت والعيون ٣١٦/١ .

٣ ينظر : الوجيز ٦٨/١ ، تفسير القرآن للصنعاني ٩٨/١ .

٤ قصص الأنبياء ٤٨٠ .

٥ جامع البيان ٣٣٥/٥ ، معالم التنزيل ٢٢٩/١ ، وينظر : فتح القدير ٢٦٦/١ ، فتح البيان ٧٤/٢ ، التفسير الوسيط ١٤١/١ ، التفسير المنير ٤٢٦/٢ .

٦ جامع البيان ٣٣٥/٥ .

٧ ينظر :جامع البيان ٣٢٣/٥ . ٣٣٦ ، الجواهر الحسان ١٩٤/١ ، الجامع لأحكام القرآن ٢٤٨/٣ ، فتح القدير ٢٦٧/١ ، معالم التنزيل ٢٢٩/١ ، فتح البيان ٧٤/٢ .

٨ قصص الأنبياء٤٨١ .

٩ ينظر : إرشاد العقل السليم ٢٤٢/١ ، التبيان في إعراب القرآن ١٠٤/١ .

وكذلك القنوجي : أي : تسوقه [١]، وعن الثوري عن بعض أشياخهم قال : تسوقه الملائكة على عجلة على بقرة [٢] .

وقال الطبري : وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال : حملت التابوت الملائكة حتى وضعته لها في دار طالوت قائما بين أظهر بني إسرائيل ، وذلك أن الله تعالى ذكره قال: " تحمله الملائكة " ، ولم يقل: تأتي به الملائكة. وما جرته البقر على عجل. وإن كانت الملائكة هي سائقتها، فهي غير حاملته. لأن "الحمل" المعروف، هو مباشرة الحامل بنفسه حمل ما حمل، فأما ما حمله على غيره وإن كان جائزا في اللغة أن يقال: "حمله" بمعنى معونته الحامل، وبأن حمله كان عن سببه فليس سبيله سبيل ما باشر حمله بنفسه، في تعارف الناس إياه بينهم . وتوجيه تأويل القرآن إلى الأشهر من اللغات، أولى من توجيهه إلى الأنكر، ما وُجد إلى ذلك سبيل [٣].

وقال ابن كثير : فالله أعلم على أي صفة جاءت به الملائكة، والظاهر أن الملائكة كانت تحمله بأنفسهم كما هو المفهوم من الآية والله أعلم [٤].

وقد ذكر صاحب المنار هذين الرأيين فقال : " (تحمله الملائكة) يحتمل وجهين أحدهما : أن المراد بالملائكة صور الكروبيين ، وقد حمل التابوت ، أي : وضع عليهما ، كما تقول في وصف القصور والتماثيل المصنوعة فيهما : فلان على فرس من نحاس ، تريد تمثال الملك وتمثال الفرس ، وثانيهما : أن البقرتين اللتين حملتا التابوت من بعض بلاد الفلسطينين إلى بني إسرائيل كانتا تسيران مسخرتين بإلهام الملائكة . وفي كتب القوم أن البقرتين اللتين جرتا عجلة التابوت لم يكن لهما قائد ولا سائق وما يجري بالهام لا كسب فيه للبشر وهو من الخير يسند إلى إلهام الملائكة روى نحو هذا ابن جرير قال : حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال اخبرنا عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه يقول وكل بالبقرتين اللتين سارتا بالتابوت أربعة من الملائكة يسوقونهما الخ . " [٥].

---

١ فتح البيان ٧٤/٢ .

٢ ينظر : جامع البيان ٣٣٦/٥ ،تفسير القرآن للصنعاني ٩٩/١ .

٣ ينظر : جامع البيان ٣٣٦/٥ .٣٣٧ .

٤ قصص الأنبياء ٤٨١ .

٥ تفسير المنار ٣٩٠/٢ .

إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين :

ههنا محذوف ، أي : في مجيء التابوت علامة ودلالة على صدق ما أخبرتكم به إن كنتم مصدقين بدلالة المعجزة على صدق المدعي [١].

قال البيضاوي : يحتمل أن يكون من تمام كلام النبي (عليه الصلاة والسلام) ، وأن يكون ابتداء خطاب من الله سبحانه وتعالى [٢].

وقال أبو السعود : (إن في ذلك) إشارة إلى ما ذكر من شأن التابوت فهو من تمام كلام النبي (عليه السلام) لقومه ، أو إلى نقل القصة وحكايتها ، فهو ابتداء كلام من جهة الله تعالى جيء به قبل تمام القصة إظهارا لكمال العناية به وإفراد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين على التقديرين بتأويل الفريق أو غيره كما سلف (لآية) عظيمة (لكم) دالة على ملك طالوت أو على نبوة محمد حيث أخبر بهذه التفاصيل على ما هي عليه من غير سماع من البشر [٣].

وقال صاحب المنار : " قالوا يحتمل أن يكون هذا تتمة كلام نبي بني إسرائيل لهم ، أي : إن في مجيء التابوت علامة أو حجة لكم تدل على عناية الله بكم واصطفائه لكم هذا الملك الذي ينهض بشؤونكم وينكل بأعدائكم ، فعليكم أن ترضوا بملكه ولا تفرقوا عنه ، ويحتمل أن يكون استئناف كلام منه تعالى لهذه الأمة معناه أن فيما أوحاه الله تعالى إلى نبيه (عليه الصلاة والسلام) من هذه القصة آية بينة على نبوته إذ لولا الوحي لما كان يعرفها وهو الأمي الذي لم يقرأ ولم يتعلم شيئا ، ولا كان يعرف ما انطوت عليه من العبرة والفائدة ولاسيما ما يعتبر في الملوك من الصفات التي تؤهلهم للقيام بأعباء السياسة وأعمال الرياسة ، وإنما يكون ذلك آية بينة وعبرة نافعة لمن يؤمن بالله وآياته التي يؤيد بها أنبيائه ورسله (عليهم السلام) لذلك قيدها بالشرط الذي حذف جوابه لدلالة الكلام عليه [٤].

---

١ ينظر : فتح البيان ٧٦/٢ ، غرائب القرآن ٦٦٩/١ .

٢ أنوار التنزيل ٥٤٥/١ .

٣ ينظر : إرشاد العقل السليم ٢٤٢/١ ، التبيان في إعراب القرآن ١٠٤/١ .

٤ تفسير المنار ٣٩٠/٢ .

التابوت عند اليهود :

قال الكرمي : وتابوت العهد عند اليهود هو الصندوق الذي أودعت فيها صفائح الحجر التي كتبت عليها الوصايا العشر [١].

ذكر ابن قيم الجوزية : أن اليهود كانوا يصلون إلى التابوت الذي معهم إذا خرجوا ، وإذا قدموا بيت المقدس نصبوه إلى الصخرة . وكان يوضع في قبة موسى (عليه السلام) . وصلوا إليه فيكون استقباله استقبالها ، فلما رفع اجتهدوا فأدى اجتهادهم إلى الصلاة إلى موضعه وهو الصخرة وليس في التوراة الأمر باستقبال الصخرة البتة ، والسامرة منهم يصلون إلى طور لهم بأرض الشام ويعظمونه ويحجون إليه قرب بلدة نابلس ، وأما استقبالهم في مصر فيحتمل أنه كان للكعبة كما روي عن الحسن وما في الحديث محمول على آخر أحوالهم ، ويحتمل أنه كان للصخرة حسبما هو اليوم ويحتمل غير ذلك والله تعالى أعلم بحقيقة الحال [٢] .

وقال صاحب المنار : وهذا التابوت المعرف صندوق له قصة معروفة في كتب اليهود [٣]. وفي أول الفصل الخامس والعشرين من سفر الخروج ما نصه :

" وكلم الرب موسى قائلا كلم بني إسرائيل أن يأخذوا لي تقدمة . من كل من يحثه قلبه يأخذون تقدمتي . وهذه هي التقدمة التي يأخذونها منهم : ذهب وفضة ونحاس وأسمانجوني وأرجوان وقرمز وبوص وشعر معزى وجلود كباش محمرة وجلود نخس وخشب سنط وزيت للمنارة وأطياف لدهن المسحة وللبخور العطر وحجارة جزع وحجارة ترصيع للرداء والصدرة ، فيصنعون لي مقدسا لأسكن في وسطهم بحسب جميع ما أنا أريك عن مثال المسكن ومثال جميع آنيته ، هكذا تصنعون فيصنعون تابوتا من خشب السنط طوله ذراعان ونصف ، وعرضه ذراع ونصف وارتفاعه ذراع ونصف . وتغشيه بذهب نقي ، من داخل وخارج تغشيه ، وتصنع عليه إكليلا من ذهب حواليه . وتسبك له أربع حلقات من ذهب وتجعلها على قوائمه الأربع ، على جانبيه الواحد حلقتان وعلى

---

١ الهادي ٢٣٣/١ ، وينظر : التفسير المنير ٤٣١/٢ .

٢ينظر : بدائع الفوائد ٥ /٢٥٩ ، روح المعاني ١١/٢ ، ١٧١/١١

٣ ينظر : تفسير المنار ٣٨٧/٢ .

جانبه الثاني حلقتان . وتصنع عصوين من خشب السنط وتغشيهما بذهب ، وتدخل العصوين في الحلقات على جانبي التابوت ليحمل التابوت بهما . تبقى العصوان في حلقة التابوت لا تنزعان منها . وتضع في التابوت الشهادة التي أعطيك . وتصنع غطاء من ذهب نقي طوله ذراعان ونصف وعرضه ذراع ونصف . وتصنع كروبين [1] من ذهب صنعة خراطة تضعها على طرفي الغطاء فاصنع كروبا واحدا على الطرف من هنا ، وكروبا آخر على الطرف من هناك ، من الغطاء تضعون الكروبين على طرفيه . ويكون الكروبان باسطين أجنحتهما إلى فوق مظللين بأجنحتهما على الغطاء ووجهاهما كل واحد إلى الآخر . نحو الغطاء يكون وجها الكروبين . وتجعل الغطاء على التابوت من فوق وفي التابوت تضع الشهادة التي أعطيك " [2] .

ثم فصل في الفصل السابع والعشرين من السفر نفسه كيف كان صنع هذا التابوت [3] .

ثم قال صاحب المنار بعد ذلك : وهي غرائب يعدها عقلاء هذه العصور ألاعيب ، والحكمة فيها والله أعلم أن بني إسرائيل كانوا . وقد استبعدهم وثنيو المصريين أحقابا . قد ملكت قلوبهم عظمة تلك الهياكل الوثنية ، وما فيها من الزينة والصنعة التي تدهش الناظر ، وتشغل الخاطر ، فأراد الله تعالى أن يشغل قلوبهم عنها بمحسوسات من جنسها تنسب إليه سبحانه وتعالى وذكر به ، فالتابوت سمي أولاً تابوت الشهادة أي : شهادة الله سبحانه ، ثم تابوت الرب وتابوت الله ، كذلك أضيف إلى الله تعالى كل شيء صنع للعبادة . وهذا مما يدل على أن تلك الديانة ليست دائمة ، فلا غرو إذا نسخ الإسلام كل هذا الزخرف والصنعة من المساجد التي يعبد فيها الله تعالى حتى لا يشتغل المصلي عن مناجاة بشيء منها ، وما كلفه ذلك الشعب التي وصفته كتبه المقدسة بأنه صلب الرقبة أو كما تقول العرب " عريض القفا " على قرب عهده بالوثنية وإحاطة الشعوب الوثنية به من كل جانب لا يليق بحال البشر في طور ارتقائهم ، إذ لا يربى الرجل العاقل ، بمثل

---

١ جاء في هامش تفسير المنار ٣٨٧/٢ . ٣٨٨ : المراد بالكروب : الملك ، أي : صورته أو تمثاله ، والكروبيون : صنف من الملائكة .

٢ الكتاب المقدس ، سفر الخروج ، الإصحاح الخامس والعشرون ، وينظر : تفسير المنار ٣٨٧/٢ . ٣٨٨ .

٣ ينظر : الكتاب المقدس ، سفر الخروج ، الإصحاح السابع والعشرون ، تفسير المنار ٣٨٧/٢ . ٣٨٨ .

ما يربى به الطفل أو اليافع ، وفي سائر فصول سفر الخروج الثلاثة تفصيل لما قدمه بنو إسرائيل لصنع تلك الدار التي يقدس فيها الله ، ولصنع الخيمة والتابوت وغير ذلك ، وغرضنا منها معرفة حقيقة التابوت عندهم فإنك لتجد في بعض كتب التفسير وكتب القصص عندنا أُقوالا غريبة عنه منها أنه نزل مع آدم من الجنة ومنشأ تلك الأقوال ما كان ينبذ به الإسرائيليون من القصص بين المسلمين مخادعة لهم ، ليكثر الكذب في تفسيرهم للقرآن فيضلوا به ، ويجد رؤساء اليهود مجالا واسعا للطعن في القرآن يصدون به قومهم عنه [١] .

وفي آخر فصول سفر الخروج أن موسى (عليه الصلاة و السلام) وضع اللوحين اللذين فيهما شهادة الله . أي وصاياه لبني إسرائيل . في التابوت [٢]، وقال صاحب المنار : وفي كتبهم الأخرى أنه كان بعده عند فتاه يشوع أي (يوشع) و أنهم كانوا يستنصرون بهذا التابوت فإذا ضعفوا في القتال وجيء به وقدموه تثوب إليهم شجاعتهم ، وينصرهم الله تعالى ، أي ينصرهم بتلك الشجاعة التي تتجدد لهم بإحضار التابوت لا بالتابوت نفسه ، ولذلك غلبوا على التابوت فأخذ منهم عندما ضعف يقينهم وفسدت أخلاقهم ، فلم يغن عنهم التابوت شيئا كما قال الأستاذ الإمام رحمه الله تعالى [٣].

ثم قال : أقول وفي سفر تثنية الاشتراع أن موسى لما كمل كتابة هذه التوراة أمر اللاويين حاملي تابوت عهد الرب قائلا خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم شاهدا عليكم ، ثم كانت حرب بين الفلسطينين وبني إسرائيل على عهد عاليا أو عالي الكاهن فانتصر الفلسطينيون وأخذوا التابوت من بني إسرائيل بعد أن نكلوا بهم تنكيلا فمات عالي قهرا ، وكان صموئيل . الذي يدعى في الكتب العربية شموئيل . قاضيا لبني إسرائيل من بعده وهو نبيهم الذي طلبوا منه أن يبعث لهم ملكا ففعل كما تقدم ، وجعل رجوع التابوت إليهم آية لملك طالوت الذي أقامه لهم وقالوا في سبب إتيان التابوت إن أهل فلسطين ابتلوا بعد أخذ التابوت بالفيران في زرعهم والبواسير في أنفسهم ،

---

١ تفسير المنار ٢/ ٣٨٨ . ٣٨٩ .

٢ ينظر : الكتاب المقدس ، سفر الخروج ، الإصحاح الأربعون ، تفسير المنار ٢/ ٣٨٩ .

٣ ينظر : تفسير المنار ٢/ ٣٨٩ .

فتشاءموا منه ، وظنوا أن إله إسرائيل انتقم منهم فأعادوه على عجلة تجرها بقرتان ، ووضعوا فيه صور فيران وصور بواسير من الذهب جعلوا ذلك كفارة لذنبهم ، ومن المدون في التاريخ المقدس عنهم أنه لما أحرق البابليون هيكل سليمان فقدت التوراة وتابوت العهد معا لأنهما قد أحرقا فيه [١] .

الخاتمة :

بعد دراسة هذا الموضوع من خلال التفاسير وآراء العلماء فيه يتضح لنا أنه لم يرد في هذه المسألة حديث عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وإنما وردت فقط روايات عن الصحابة (رضي الله عنهم) ، وآراء للمفسرين (رحمهم الله جميعا) وأن بعض الروايات كان فيها عدة روايات لصحابي معين ، وأن أكثر العلماء مالوا إلى أنه وما فيه حقيقة بينما ذهب آخرون . وهم قلة . إلى أنه مجاز ، وأرجو أن قد أكون وضحت الصورة من المراد بالتابوت وقصته وشأن بني إسرائيل معه ، وتبين لنا الآراء التي ذكرت في ذلك ، وأسأل الله أن أكون قد وفقت في بيان تلك الأقوال ، ولله الحمد .

The Ark of the covenant and Its truth by scholars

Lect .Omar Abd alwahab Mahmood

-Abstract-

This research deals with the Ark of covenant of children of Israel mentioned in Talut story in al - Baqara Sura . This study aims at defining the Ark of covenant . what is it , its size , its matter ? What an assurance of security and relics left in side of it do mean . Time of its presence , and was it raised or not ?

The study also tackles its origin, weight and its derivation by Linquists as well as to how the prophets compainions contrast while writing the Holy Quran . I seek the help of god that I make the Scholars opinion clear Cut in this Subject on the one hand , and something _ thoug little_ to render Islamic religion and the Holy Quran on the other hand . The rightness is from God and I ask God forgiveness and at the end praise be to God " the one and only ".

١ ينظر : الكتاب المقدس ، سفر التثنية ، تفسير المنار٢/ ٣٨٩ .